المشهد

العدد 359 – السنة الرابعة عشرة - الثلاثاء 1 سبتمبر 2026 - 18 ربيع الآخر 1448هـ

قالت العرب

أسرى غرامك يا فلسطين الأسيرة / لم يحملوا لك عقد فل / فى موعد العشق العظيم /
حملوا زهور النار فى القلب الكليم
/ جعلوا غرامك قنبلة / قبلاتهم فوق البنادق و السيوف / تروى لواعج ذلك الحب العنيف

أطلاق سراح عدد من المختطفين الإسرائيليين

في محيط غزة

إسرائيل والولايات المتحدة ترددتا أمام عرض من قطر بإطلاق سراح المدنيين الإسرائيليين

السنوار عرض مفاوضات مع اسرائيل مباشرة بعد نجاح السابع من اكتوبر كما عرض إطلاق سراح المدنيين من الرهائن دون مقابل فى اليوم نفسه

قوات إسرائيلية على حدود القطاع

مطالبات في المجتمع الصهيوني بتحرير رهائن ٧ اكتوبر

فى صيف عام ٢٠١٧، وبعد ما يقرب من ٤٠ عامًا من القطيعة والعداء، التقى السنوار دحلان فى منزله بالقاهرة، وحضر اللقاء عدد من كبار مسؤولى حماس، من بينهم محمد الضيف، قائد الجناح العسكرى للحركة، وموسى أبو مرزوق، عضو مكتبها السياسي.

قدم السنوار وصفًا لدحلان بشأن المعاناة القاسية فى غزة، وطلب منه نقل رسائل إلى نتنياهو بشأن رغبته فى التوصل إلى ترتيب مُرض، وتمثلت العناصر الأساسية لذلك الترتيب فى تخفيف الحصار وإنعاش اقتصاد غزة، ولا سيما من خلال توفير فرص العمل.

وأشرك دحلان المصريين فى الأمر للمساعدة فى الوساطة بين السنوار ونتنياهو، وأفضت المبادرة إلى إنشاء شبكة من علاقات العمل غير المباشرة بين إسرائيل وحماس.

وكُشف لاحقًا عن لمحة من هذه الاتصالات فى عام ٢٠٢٢، عندما تحدث رئيس مجلس الأمن القومى الإسرائيلى السابق مئير بن شبات، فى مقابلة مع صحيفة يديعوت أحرونوت، عن المفاوضات التى أُجريت مع السنوار. وعرض بن شبات ورقة كتب عليها السنوار باللغة العبرية وأرسلها إلى نتنياهو عام ٢٠١٨: "مخاطرة محسوبة".

وقال بن شبات: "كانت تلك إحدى اللحظات الجميلة فى هذه العملية، وأفهم من ذلك أن السنوار يتابع باهتمام شديد ما يحدث فى الجانب الإسرائيلي، ويحلل كل تصريح يصدر عن السياسيين، ويدرك المعضلات، ويضيف رأيه الخاص إليها".

وتطورت الاتصالات فى أغسطس/آب ٢٠١٨، إلى اجتماع لكبار المسؤولين الإسرائيليين بشأن القضية، بحضور رئيس الوزراء، وعُرضت خلال الاجتماع خطة منظمة لصياغة صفقة يُعاد بموجبها الإسرائيليون الأربعة، مقابل وقف متبادل لإطلاق النار وموافقة إسرائيل على ترتيب يتضمن تخفيفًا كبيرًا للحصار المفروض على غزة.

وتعلقت المرحلة التالية بصفقة التبادل نفسها، ففى مقابل إفراج حماس عن الإسرائيليين الأربعة، وافقت إسرائيل على إطلاق سراح أسرى من حماس، من بينهم معتقلون خلال حرب غزة عام ٢٠١٤، التى أطلقت عليها إسرائيل اسم "عملية الجرف الصامد"، باستثناء المتورطين فى أنشطة مسلحة كبيرة.

وجاء فى وثيقة تلخيص الاجتماع أن "تأجيل صفقة تبادل الأسرى والمفقودين، وفصلها عن مسار الترتيب، قد يؤدى إلى تأخير حل قضية إعادة الأسرى والمفقودين لسنوات مقبلة".

وخلص كبار مسؤولى الدفاع إلى أن الظروف كانت مواتية للغاية لإبرام إسرائيل صفقة تبادل أسرى بتكلفة معقولة، واختتم نتنياهو المناقشة وتعهد باتخاذ قرار، لكن الوقت مضى، وبدأ نتنياهو يتردد ويؤجل الموافقة على مسار الترتيب.

ومن جهة أخرى، عندما كانت الأجهزة الأمنية ترصد نشاطًا عسكريًا مفرطًا لحماس، كان نتنياهو يرفض مرارًا الموافقة على شن عملية قوية ضد الحركة.

ويروى ضابط رفيع: "أصبح الأمر روتينيًا بالفعل. يطلقون الصواريخ، فنردّ، ثم تندلع جولة قتال، ويُصاب سكان المنطقة الإسرائيلية المحاذية لغزة بالإنهاك، وتُهدر أموال كثيرة"، وأضاف: "أراد الجيش مرات عدة شن عملية عسكرية واسعة وشاملة فى غزة، لكن حكومة الرجل نفسه الذى وعد قبل انتخابه بأن يكون قويًا فى مواجهة حماس، أصرّت على عدم التصعيد وعلى الحفاظ بعناية على هذه الأداة المسمى حماس، وكانوا يقولون لنا: اهدؤوا، ودعونا نركز على الشمال وإيران".

ويقول لواء سابق فى الجيش الإسرائيلى إنه سمع رئيس الأركان هرتسى هاليفى "ينتقد سياسة الاحتواء التى يتبعها نتنياهو أكثر من مرة".

وكان هاليفى يصف الأمر فى الاجتماعات بصورة واضحة قائلًا: "الأمر يشبه وجود مسمار بارز من جدار المنزل، وبدلًا من نزعه، تجمع جميع أفراد العائلة، بمن فيهم الأطفال، وتقول لهم: احذروا المسمار كلما مررتم من هنا".

وأضاف: "عندما وافقنا على العيش مع المسمار، لم نفهم أن ما سيحدث فى النهاية هو أننا، بدلًا من نزعه من الجدار، سنُخوزق به".

ثم تفشّت جائحة كورونا، وانقطعت الاتصالات بين حماس وإسرائيل، وركزت إسرائيل على معالجة المشكلات الجديدة التى أفرزتها الجائحة، وفى الوقت نفسه انجرفت إلى خمس جولات انتخابية متتالية.

فى المقابل بدأت تترسخ فكرة استراتيجية جديدة فى أوساط محور المقاومة، مفادها أن اليوم الذى يمكن فيه توجيه ضربة حاسمة إلى إسرائيل وهى فى حالة ضعف أصبح قريبًا، أما السنوار، فواصل استثمار كثير من الجهد والمال فى تطوير مشروع الأنفاق فى غزة، وفى تدريب قوات حماس وتسليحها استعدادًا ليوم الحسم.

ومرت نحو ثلاث سنوات أخرى قبل أن يحل ذلك اليوم.

وفى رسالة أرسلها السنوار ومحمد الضيف ومروان عيسى إلى حزب الله صباح السابع من أكتوبر/تشرين الأول، فى محاولة لإقناع أمينه العام آنذاك حسن نصر الله بالانضمام إلى العملية، قالوا: "عندما تقرؤون كلماتنا هذه، سيكون آلاف المقاتلين الجهاديين من كتائب عز الدين القسام قد انطلقوا لمهاجمة أهداف الاحتلال الصهيونى المجرم، وسيقصفون مواقع العدو وتجمعاته وبلداته ومفترقاته فى المنطقة الجنوبية من فلسطين المحتلة"، وأضافوا: "سيخترقون السياج الفاصل لمواجهة قوات الاحتلال وقتالها، وسيسيطرون على مواقع عسكرية ومدنية فى المنطقة، ويأسرون عددًا كبيرًا من جنود الاحتلال".

بحلول المساء، كان العالم قد امتلأ بمعلومات مروعة عن اختطاف مئات الرجال والنساء والأطفال والمسنين.

وفى السابعة مساءً، اتصل رئيس الوزراء القطرى الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثانى بمدير الموساد ديفيد برنيع، الذى كانت تربطه به علاقة ودية، وكان رئيس الوزراء القطرى ينادى المسؤول الاستخباراتى الإسرائيلى بمودة: "ديدى بوي".

وكان الرجلان قد التقيا قبل أسبوع واحد فقط، فى نهاية يوم الغفران اليهودي، عندما سافر برنيع إلى الدوحة نيابة عن نتنياهو، ليطلب من القطريين زيادة المساعدات المالية المقدمة إلى قطاع غزة.

كان آل ثانى مضطربًا، وقال لبرنيع: "انتهيت للتو من محادثة مع رئيس المكتب السياسى لحماس إسماعيل هنية ونائبه خليل الحية، الذى كان قد وصل إلى الدوحة قبل وقت قصير".

وأضاف: "هددتهما بوضوح بأننى سأصدر شخصيًا أمرًا بطردهما من قطر ما لم يُفرج فورًا عن جميع الرهائن المدنيين، وأود إبلاغك بأن حماس مستعدة الآن للإفراج عن جميع المدنيين، ونحن مستعدون للتوسط".

لكن رد مدير الموساد الإسرائيلى ترك آل ثانى فى حيرة، فقد أجابه برنيع: "إذا كانوا يريدون الإفراج عن المدنيين، فليفرجوا عنهم. نحن غير مستعدين للتحدث مع حماس".

وقال رئيس الوزراء القطرى لمساعديه: "هؤلاء ليسوا الإسرائيليين الذين أعرفهم. وهذا ليس ديدى برنيع الذى أعرفه".

ويقرّ مساعدو برنيع بأنه سمع بالفعل من رئيس الوزراء القطري، خلال محادثتهما الأولى، أن حماس مستعدة للإفراج عن المدنيين، لكنهم يقولون إن الحركة وضعت شروطًا غير مقبولة، من بينها وقف توغل الجيش الإسرائيلى فى غزة ومنح المصلين حقوقًا جديدة فى المسجد الأقصى.

وينفى رئيس الوزراء القطرى هذا الادعاء، ويقول أحد مستشاريه: "فى اليوم الأول، لم يضع قادة حماس أى شروط تعجيزية، لأن تهديدنا لهم كان جديًا، ولم يكونوا أصلًا فى وضع يسمح لهم بفرض الشروط".

لم يستسلم آل ثاني، بل اتصل بوزير الخارجية الأميركى أنتونى بلينكن، وقال له: "اسمع، هناك مئات الرهائن فى غزة، وأقدّر أن بينهم عشرات المدنيين.. يجب إطلاق سراحهم الآن. لقد عرضت على الإسرائيليين التوسط لإبرام صفقة سريعة للإفراج عنهم، لكنهم غير مهتمين".

وأبلغ بلينكن آل ثانى بأنه يعتزم السفر إلى إسرائيل خلال ثلاثة أيام، وطمأنه قائلًا: "لننتظر، سأتحدث شخصيًا مع نتنياهو"، لكن آل ثانى أصرّ قائلًا: "أنت تعلم أن الوقت عامل مهم. علينا التحرك الآن"، فقاطعه بلينكن: "الوضع معقد فى الوقت الراهن. ما زالت إسرائيل تتعرض للهجوم، ولا يوجد أحد يمكن التحدث معه. سننتظر ثلاثة أيام".

وفى صباح اليوم التالي، بعيدًا عن المحادثات الدبلوماسية بين إسرائيل والدوحة، اتصل روحى مشتهى، الذراع اليمنى للسنوار، بسمير المشهراوي، أحد المقربين من دحلان.

وخلال المكالمة التى أجراها من غزة، طلب مشتهى، نيابة عن السنوار، مساعدة دحلان فى العثور سريعًا على وسيط لدفع اتفاق لوقف إطلاق النار، ولإضفاء مزيد من الثقل على طلبه، أضاف مشتهى: "صديقنا يستمع"، فى إشارة إلى السنوار الذى كان يتابع المحادثة.

وأبلغ المشهراوى دحلان بالمكالمة. ووفقًا للمشهراوي، قال دحلان: «عليهم أولًا وقبل كل شيء الإفراج عن جميع المدنيين؛ الأطفال والمسنين والرضع. ومن دون ذلك، لا مجال للحديث».

وأضاف: «ما فعلوه كان جنونًا. لم يتجاوزوا خطًا أحمر، بل تجاوزوا خطًا أسود. إذا أُفرج عن المدنيين، فسيشعر الرأى العام الإسرائيلى بأن هناك مجالًا للتفاوض. وإذا لم يفعلوا، فليتحملوا نتيجة ما اقترفته أيديهم».

ونقل المشهراوى رسالة دحلان إلى حماس. فأجابه مشتهى: «أمهلنى ٢٤ ساعة وسأعاود الاتصال بك».

لكن المفاجأة أنه عاد بعد ساعة واحدة فقط، حاملًا رسالة مفادها أن السنوار مستعد للإفراج عن جميع المدنيين، وتجدر الإشارة إلى أن السنوار، عندما يتحدث عن المدنيين، يقصد فقط من تقل أعمارهم عن ١٨ عامًا ومن تزيد أعمارهم على ٥٠ عامًا.

ويروى المشهراوي: "أخبرنى أنهم، فى المرحلة الأولى، لا يمانعون الإفراج عن جميع المدنيين من دون أى مقابل. أقسم إن هذه كانت كلماته حرفيًا: جميع المدنيين من دون أى مقابل"، وأضاف: "كان لديهم شرط واحد فقط، وهو أن نأتى سريعًا بوسيط متفق عليه، حتى تبدأ المفاوضات فورًا بشأن بقية القضايا: إطلاق سراح الجنود والضباط مقابل الأسرى الفلسطينيين، ثم قضية الحصار المفروض على غزة".

وفعّل دحلان اتصالاته مع جهاز الشاباك ونقل إليه المعلومات. ووفقًا للمشهراوي، كان الرد غير الرسمى الذى تلقاه دحلان: "نتنياهو لا يريد التحدث عن أى شيء. إنه يريد الحرب والقضاء على حماس فقط".

وكان التصور الإسرائيلى يقوم على الآتي: نقضى على حماس أولًا، ثم نستعيد الرهائن بالقوة.

ويقرّ مسؤول دفاعى رفيع بأن بعض مقترحات الإفراج عن الرهائن المدنيين، على الأقل، وصلت إلى الموساد والشاباك ورئيس الوزراء، لكنه يقول إنه حتى لو كانت تلك المقترحات جدية ومحددة، فإن المؤسسة العسكرية، التى احتاجت إلى ٢٤ ساعة للسيطرة على الوضع، والقيادة السياسية التى كانت تعيش حالة صدمة أشد، لم تكونا قادرتين على مناقشة الأمر خلال الأيام الأولى.

ويقول المسؤول: "بصراحة، لم تكن قضية الرهائن مطروحة بجدية على جدول الأعمال فى تلك المرحلة، ولم يكن أحد فى المستويين العسكرى أو السياسى مستعدًا لمناقشة الاقتراح".

وأضاف: "لم تُدرج إعادة الرهائن حتى ضمن أهداف الحرب التى صاغتها الحكومة ليلة السابع من أكتوبر.. هل كان من الممكن مناقشة الاقتراح بصورة مناسبة والتوصل إلى قرار؟ من الناحية الموضوعية، نعم"، وتابع: "لكن المزاج السائد كان شبيهًا بما أعقب هجوم بيرل هاربر: لقد تلقينا للتو ضربة وحشية وكنا فى خضم حرب.. فمن كان يمتلك القدرة الذهنية للحديث آنذاك عن وقف القتال وبدء المفاوضات، حتى لو كان ذلك سينقذ حياة عشرات الأشخاص الذين لم يكن عددهم النهائى معروفًا بعد؟".

ويروى المشهراوى أن مشتهى اتصل به مجددًا فى العاشر من أكتوبر/تشرين الأول، نيابة عن السنوار، لمعرفة ما إذا كان قد ورد رد إسرائيلى على اقتراح حماس.

ويقول المشهراوي: "أخبرته بأننى ما زلت أنتظر ردًا من إسرائيل. انتظرت بضعة أيام أخرى، ثم تواصلت مع الإسرائيليين مرة أخرى، لكنهم لم يكونوا فى حالة تسمح لهم بالحديث مطلقًا. وفى غضون ذلك، اشتد قصف غزة خلال أيام قليلة، وأصبح الاتصال بمشتهى والسنوار مستحيلًا".

وصل بلينكن إلى إسرائيل بعد ستة أيام، وفور وصوله يوم الخميس ١٢ أكتوبر/تشرين الأول، التقى نتنياهو، ثم توجه فى اليوم التالى إلى الدوحة للقاء رئيس الوزراء القطري.

وقال وزير الخارجية الأميركى لآل ثاني: "طرحت على نتنياهو مسألة الإفراج عن الرهائن، لكننى لم أتلقّ منه جوابًا واضحًا. نتنياهو ليس مستعدًا لذلك بعد".

وكرر آل ثانى تقديره بأن موافقة حماس على الإفراج عن الرهائن قد لا تبقى قائمة مع مرور الأيام وتصاعد الهجمات الإسرائيلية على غزة وسقوط أعداد كبيرة من القتلى، وخصوصًا المدنيين.

ووعد بلينكن بمحاولة التحدث إلى نتنياهو مرة أخرى، وفى ١٤ أكتوبر/تشرين الأول، وبعد وقت قصير من إقلاع طائرته من الدوحة متجهة إلى واشنطن، أرسل بلينكن إلى آل ثانى رسالة نصية جاء فيها: "نتنياهو مستعد لوساطتكم.. سيصل مدير الموساد قريبًا".

وفى اليوم التالي، وبعد ثمانية أيام من عرض آل ثانى خدمات الوساطة على مدير الموساد الإسرائيلي، وصل برنيع إلى الدوحة، فى غضون ذلك، وكما كان متوقعًا، زادت حماس من مطالبها.

ويتذكر مسؤول بارز فى الشاباك، كان يدرك الاتجاه الذى تسير إليه الأمور، أنه دعا منذ ١٨ أكتوبر/تشرين الأول، وبعد موجة القصف الدامية التى شنتها إسرائيل على غزة خلال الأيام الأولى، إلى التوقف.

وقال: "كان ينبغى لنا أن نلتقط أنفاسنا، ونعض على شفاهنا، ونتماسك، ونتحمل كلفة الإفراج عن جميع الأسرى الذين طالبت بهم حماس.. وبعد ذلك، كان علينا أن نبحث عن أول فرصة للعودة إلى الحرب".

وأضاف: "الساعات والأيام الأولى بعد عملية الاختطاف هى الأكثر أهمية، ومع مرور الأيام وتصاعد الرد العسكري، يميل الطرفان إلى التشبث بموقفيهما، ويرتفع ثمن الرهائن".

وتابع: "قلت إن علينا نحن أيضًا استخدام الحيلة.. لكن عندما وصلت الفكرة إلى رئيس الوزراء، قال: بمجرد انكشاف الحيلة، فإنها لا تعود حيلة، وانتهى الأمر عند ذلك".

كما وصلت إشارات إلى استعداد حماس لخوض مفاوضات مرنة إلى العقيد فى الاحتياط دورون هدار، الذى تولى سنوات طويلة قيادة وحدة المفاوضات التابعة لهيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي.

ويقول هدار: "بدأت أتلقى الرسائل وأجمع المعلومات الاستخباراتية والبيانات الأخرى، وبدأت الصورة تتضح: بالنظر إلى الوضع، ومع وجود الطرف الآخر فى حالة صدمة أيضًا، وشعور حماس بالقلق من الضرر الإعلامى الدولى الذى أحدثته صور مئات الرهائن والمسنين والنساء الخائفات والأطفال الباكين، كان فى إمكاننا إنشاء إطار لاتفاق، ثم الادعاء لاحقًا، إذا أردنا، بأن حماس انتهكته، وشن هجوم".

وأضاف: "من الواضح لى بالطبع أن جانبنا كان يعيش صدمة كاملة، وكان أيضًا فى حالة غضب عارم. لكنك تتوقع فى نهاية المطاف من القيادة أن تعرف كيف تفصل بين الانفعالات العاطفية والحسابات العقلانية، وأن تتوقف لحظة للنظر فى الخطوة الصحيحة فعلًا فى تلك المرحلة. كان يمكن عقد صفقة مع هذا الشيطان، ثم قتله".

وفى منتصف أكتوبر/تشرين الأول، حضر هدار اجتماعًا عُقد فى مكتب أوفير فالك، مستشار نتنياهو للسياسة الخارجية، وتناول ترتيب أهداف الحرب التى كانت تتبلور آنذاك، وطلب هدار عرض وجهة نظره على المجتمعين.

ويروي: "سألت فالك: أخبرني، هل تفهم ما يحدث هنا؟ يمكننا الآن إعادة النساء والأطفال. إنها صفقة تبادل فرد مقابل فرد، ويمكننا إطلاق تحرك".

وأوقف فالك المناقشة وطلب من الحاضرين الآخرين مغادرة الغرفة.

ويتابع هدار: "واصلت الحديث وقلت له: دعنا ندفع نحو إبرام صفقة.. سنعرض عليهم ألف أسير، بل ألفين إذا اضطررنا إلى ذلك.. العالم يقف معنا الآن، فلنمارس ضغطًا دوليًا وندفع الصفقة قدمًا".

لكن فالك أوقف هدار قائلًا: "لن تكون هناك صفقة هنا.. هؤلاء هم داعش.. إنهم قتلة، ولن يحصلوا على شيء. غيّر طريقة تفكيرك يا دورون".

ويلخّص وليام ج. بيرنز، المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، بأسلوبه المتزن المعتاد، المتاهة التى ستعلق فيها قضية الرهائن، قائلًا: "كانت المشكلة الأساسية أن حماس تبحث عما سمّته نهاية دائمة للصراع"، وأضاف: "لم يكن نتنياهو مستعدًا إلا للنظر فى اتفاق للمرحلة الأولى، لكنه قال إنه مضطر إلى الاحتفاظ دائمًا بخيار مواصلة تدمير حماس لاحقًا، على حد تعبيره".

وتابع: "كان هذا دائمًا هو التحدى بالنسبة إلينا: كيف نوفّق بين هذين الأمرين المتناقضين وننجح فى إعادة الجميع؟".

وكانت النتيجة أن إسرائيل غيّرت بالفعل طريقة تفكيرها بشأن التعامل مع مواطنيها وجنودها المحتجزين لدى العدو.

وهكذا مرّ عامان آخران من الحرب قبل توقيع اتفاق أعاد آخر الرهائن من غزة، أحياءً وأمواتًا، بينما بقيت حماس قائمة.

ووصف مكتب رئيس الوزراء هذا التحقيق بأنه "كذبة محضة"، وقال فى رده: "لم يتحدث رئيس الوزراء نتنياهو مع رئيس دولة الإمارات خلال الفترة المعنية، ولم يتلقّ منه أى تحذير".

وقال الرئيس السابق لجهاز الشاباك رونين بار، ورئيس أركان الجيش الإسرائيلى السابق هرتسى هاليفي، إنهما لم يُبلّغا بالتحذير الذى نقله رئيس دولة الإمارات.

وتواصلت صحيفة هآرتس مع الشيخ محمد بن زايد للحصول على تعليق، لكنها لم تتلقّ ردًا.

هآرتس الاسرائيلية
ترجمة: محمد مجدي